

الحركة الطلابية الجزائرية.. في ذكرى استشهاد رائدها المعاصر



ذات يوم من أيام الثورة الجزائرية المجيدة أصدرت قيادة جبهة التحرير الوطني نداءً إلى الطلبة الجزائريين دعوتهم فيه للدخول في إضراب مفتوح، كان الهدف منه توجيه رسالة إلى المستعمر الفرنسي أن كل مكونات طبقة المجتمع متحدة واعية، مطالبة بالحرية والاستقلال مهما كان الثمن، فكان رد الطلبة صفة كبيرة للمستعمر بعد أن طلقوا مقاعد الدراسة والتحقوا بالمجاهدين في الجبال، مما جعل الثورة التحريرية تأخذ بعداً آخر، ونقطة قوة جعلت من الثورة تنتفض أكثر وتتنزين بالكفاءات، هكذا هي إذاً مقدمة النضال والحركة الطلابية في الجزائر.

المئات من الشهداء والرموز الطلابية سقطوا في سبيل هذا الوطن، شهداء سقطوا خلال الثورة، وآخرون سقطوا خلال العشرية، وينتظرون إلى اليوم إنصاف الأساتذة والباحثين والمؤرخين وطلاب الجامعات، ومن بين هؤلاء المئات، الشهيد عبد الحفيظ سعيد - طيب الله ثراه -.

ولد الشهيد عبد الحفيظ سعيد في أكتوبر 1971 بولاية غارداية، نشأته كانت وسط عائلة محافظة، إذ كان جدّه من رواد الحركة الإصلاحية في البلاد ووالده مناضلاً في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، دخل الجامعة صيف 1990 بعد حصوله على شهادة البكالوريا، ليلتحق بالمعهد الوطني للإحصاء، لينخرط بعدها في العمل الطلابي مؤسساً مع رفاقه الاتحاد الطلابي الحر، ليكون بعدها رقماً صعباً في النضال الطلابي في الجزائر.

ولأن أبطال الأمس من الطلبة الجزائريين كان همّهم الوطن وتحريره من المستعمر، كان خلف هؤلاء الغاية نفسها وإن رحل المستعمر، فقاد الشهيد عبد الحفيظ لجنة للمصالحة الوطنية في عزّ السكين الأحمر في البلاد، لم يمنعه ذلك رغم التهديد والوعيد من الجماعات المسلحة، أن يعتقد لحظة أن المصالحة في الجزائر لن تتم، مسعاه للمصالحة ووزنه النضالي كونه رئيساً للمجلس الوطني للاتحاد العام الطلابي الحر، كلّفه الكثير.

كل جامعات البلاد ومعاهدها ومدارسها التي فاقت المئة مؤسسة خارج التصنيف العالمي، فترتيب

أحسن جامعة جزائرية لعام 2016 كانت الرتبة 2613، وأكثر من 97% من المؤسسات الجامعية في الجزائر تعدت الترتيب الـ4000، رغم الإمكانيات البشرية والمادية المسطرة تحت خدمة القطاع

تعيش الجامعة الجزائرية اليوم وضعًا لا تحسد عليه جامعة في هذا الوجود، لا المستوى التعليمي والبحثي، ولا الأخلاقي التربوي يبشّر بالنور للبلاد، فكل جامعات البلاد ومعاهدها ومدارسها التي فاقت المئة مؤسسة خارج التصنيف العالمي، فترتيب أحسن جامعة جزائرية لعام 2016 كانت الرتبة 2613، وأكثر من 97% من المؤسسات الجامعية في الجزائر تعدت الترتيب الـ4000، رغم الإمكانيات البشرية والمادية المسطرة تحت خدمة القطاع، إمكانيات جعلت طلبة تخصصات عديدة على شفى جحيم السنة البيضاء، طلبة الصيدلة، طب الأسنان، الهندسة المعمارية وغيرهم الكثير على باب تذوق هذا الجحيم، إضرابات على فوهة الدخول إلى كتاب غينس للأرقام القياسية طولًا وعرضًا، هذه هي إدا الجامعة الجزائرية اليوم، التي استشهد في سبيلها شهداء الأمس والأمس القريب.

ذات صباح من رمضان وأي صباح، صباح الثالث عشر من فبراير من سنة الدماء، عام 1995، كان الشهيد عبد الحفيظ سعيد متجهًا من مقر سكنه إلى العاصمة الجزائر، حيث كانت في انتظاره ورقة الإجابة الأخيرة للامتحان الأخير في مسار حافل بالإنجازات العلمية والنضالية داخل الجامعة، كان لموعد عبد الحفيظ بعدها رحلة روحية لأداء مناسك العمرة رفقة والده، وكان في انتظار الشهيد الصائم لدى وصوله إلى محطة الحافلات عشر رصاصات، اخترقت ثلاثة منها جسد عبد الحفيظ، لينتقل المناضل الوفي لوطنه إلى الرفيق الأعلى، تاركًا معه رسالة لطلبة اليوم مفادها:

”نحن نعمل لغايتين، لننتج ولنؤدي الواجب، فإن فاتتنا الأولى فلن تفوتنا الثانية ”